مقدمة

لو ترك لى الخيار لأسميت كتابى هذا « أحاديث طبية مبسطة يستسيغها الجالس بجانب الموقدة » ولكن ما الحيلة وقد جرت العادة ألا يتعدى عنوان الكتاب كلمتين أو ثلاث يراعى فى اختيارها أن تدل على ما يتبعها من صفحات يمكنها أن تنكمش أمام عينى القارئ إذا كان ما فيها رخيصاً غثاً ، وفى مقدورها أن تتضخم أمام ناظريه رغم صغر حجمها ذا كان ما تحويه جميلا يَسُرّ العين ، أو ثميناً يغذى العقل والنفس ، وياويل المؤلف من القارىء وهو جالس أمام الموقدة فى يوم قارص غابت شمسه قبل أوانها ودمعت سماؤه بعد إنذار مُرْعِدٍ مبرق . إن بريق اللهب ودفئه يرتفعان به إلى السماء السابعة من شعور الطمأنينة والأمان ، فيشمر عن إحدى ساعديه أو كليهما ، ويعبث بأمعاء الكتاب الضعيف بين يديه ، وكأنه يتشفى ممن يحاول أن يقطع عليه فترة استئثار بما يشتهيه ساكن القطبين . ويا ويل المؤلف إذا كان قارئه مولعاً بالفليون يجز عليه بأسنانه فى شغف الولهان وهو يقلب الصفحات المستسلمة بين يدى من اشتراها فوهبته نفسها ملكا حلالا . إن مالكها يطلب منها من ألوان الإغراء ما يوافق مزاجه وهو يمتص الدخان الحبيب إلى رئتيه ، ثم وهو ينفخه فى الهواء جهداً ضائعاً .

ويا ويلها إذا فشلت فى إثبات مقدرتها — وهى بين يديه — كلعوب تجيد فنون الإغراء والتلاعب بالعاطفة ، فانه لا يلبث أن يلقى بها وراء ظهره ويولى وجهه نحو الأفق باحثاً عن صيد جديد .

بمثل هذه الروح النقادة والهدامة فى لطف ورفق أريد منك يا قارئى العزيز أن تتمعن السطور المقبلة . وقد عودتك فى مؤلفاتى السابقة أن أتبسط فى الحديث كى يسهل التفاهم بيننا . ولكنى حاولت هذه المرة أن أجعلك فى بعض الأحيان تشب على قدميك قليلا لترى ما وراء الجدران حيث الخبىء المجهول الذى يبدو دائماً مظلماً حتى يرفع عنه الحجاب فإذا به نور وضاء يهدى إلى سواء السبيل .

والله ولى التوفيق والشكر والحمد له أولا وآخراً .

مارس ١٩٤٧ دكتور مصطفى المريوانى